الإدراك اتضح أكثر في أواخر السبعينات... مثلما إدراك قانون لينين عن تفاوت التطور واكتشافه في الواقع الفلسطيني، إذ أن الوعي متفاوت والاستعدادات متفاوتة بين مخيم وقرية وبين مدينة ومدينة وبين شريحة وشريحة، بل بين طباع شخص وآخر، ومن هنا تحدث ماركس عن القابليات والحزب عن الإنسان المناسب في المكان المناسب وعن الميول والتخصصات... وهذا كله يصب في طاحونة النظرية التنظيمية.

وسكبت الجهود المثابرة لنقل العمال من طبقة في ذاتهم إلى طبقة لذاتهم، هذا التعبير الذكي الذي استخدمه ماركس في "بؤس الفلسفة" وتشعب فيه لينين لاحقا.

و(من الحالة العفوية للجمهرة إلى الحالة المنظمة، ومن الثقافة الجبرية إلى الثقافة العقلانية النقدية التي تعزز الثقة بقدرة الإنسان على التغيير والانتصار وبالتالي خلق التلاحم بين الطليعة الواعية وجماهير الثورة... ودعني أقول لقد سرنا في هذا الدرب وصنعنا هذه السيرورة بصرف النظر عن الشوط الذي انجزناه. ففي أحسن الأحوال لم يتجاوز حجمنا ربع الخارطة السياسية الفلسطينية.

والشيء المؤكد أننا لم نساير الجمهرة في عفويتها ولم نستسلم للنضال العفوي، رغم أهميته واعترافنا به، ذلك انه لا يملك ديناميات الاستمرار، فهو اندفاعات وهبات وينطفئ، بينما العمل المنظم الواعي يستمر ويخطط على نطاق واسع. وأفضل نموذج للتمييز بينهما كان انتفاضة كانون أول ١٩٨٧. ومن هنا كرسنا الجهد الأساسي في بناء الحزب الثوري الذي يتسلح بالوعي الثوري والانخراط في ممارسة متشعبة).[٤٤٥] ومع الوقت استوعبت مقولة لينين عن اللحظة المناسبة و«أمس لم يحن بعد وغداً يكون قد فات الأوان». وأصبح هذا مبدأ تاكتيكيا لا يمكن القفز عنه، كما مقولة الحلقة المركزية وربط التاكتيك بالستراتيجية والعمل اليومي بالخطة السنوية وإيجاد آليات العمل المتنوعة للمهام المتنوعة، واستيعاب المتغيرات «لان التعاسة في السياسة هي عدم استيعاب المتغيرات»، لينين، وتشديد التطلب دائما (لأنه ليس ثمة ما هو أسخف من الرضى عن النفس) لينين، ولكن دون الغطس في الارادوية، ذلك أن الإرادة الثورية والتربية الثورية ليستا كل الصورة، بل هناك ميزان القوى أيضا والحالة الراهنة والوضعية الجماعية للشعب والتقطعات في النضال، أي الزمن الرمادي والزمن الثوري بلغة لينين، كما أن الجبهة ليست وحدها في الساحة بل هناك شركاء وطنيون وعدو عنصري دموي له مخططاته وقدراته. وكان ثمة اهتداء بالمثل الصيني «وتر

٤٤٥) نفس المرجع